عثمان عبد السلام الثقافي وأنشاطاته العربية والإسلامية

إعداد/

عيسى عبد الروؤف عبد الرحمن (المجاهد)

محاضر في قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية إلورن

المقدمة

إن التاريخ لا يستهان به في حياة الإنسان كما أنه هو يعين الإنسان أن يعرف الماضي وما يكون في الحاضر وما سيكون في المستقبل، وقد قمنا في كتابة هذه الورقة لتكون ضوء بصيصا عن حياة عثمان عبد السلام الثقافي وأنشاطاته العربية والإسلامية، ذكر الباحث ما تضمنت هذه الورقة وهي:

- مولده ونسبه ونشأته.
- رحلته العلمية.
- شيوخه وتلاميذه.
- أزواجه وأولاده.
- مزاولته مهنة التدريس.
- حركاته في نشر الثقافة العربية والإسلامية وتأسيسه للمدرسة والمسجد الجامع.
- شاعريته.
- مؤلفاته.
- تعيينه للمناصب المختلفة.
- وفاته
- وبعض ما قيل عنه بعد وفاته.

أولا: مولده ونسبه ونشأته:

هو الفاضل المرحوم العلامة الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، وهو الإمام الجامع ذو المحاسن الجليلة رحمه الله تعالى رحمة واسعة، أبو عبد السلام بن عبد السلام بن محمد، وجدّه هاجر من

أوندو ولاية أوندو إلى مدينة إلورن، ولاية كوارا للتجارة، وأمه الحاجة صفية بنت ذو القرنين بن عثمان بن الشيخ عبد السلام مامالوشو أمير الخامس لمدينة إلورن 1891م-1895م.[1]

ولد العلامة الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي رحمه الله تعالى سنة 1956م في محافظة آسا ولاية كوارا وترعرع فيها، آخذ قراءة القرآن الكريم عند الشيخ عبد الله باب بقرية أدينمالي في المحافظة نفسها ولقب بالثقافي واشتهر به انتسابا إلى جمعية الثقافي الإسلامية التي أسسها سنة 1980م.[2]

ثانيا: رحلته العلمية:

بدأ المرحوم العلامة الأستاذ الدكتور رحمه الله رحمة واسعة عثمان عبد السلام محمد الثقافي حياته الدراسية عند ما بلغ الثامنة من عمره عند الشيخ عبد الله بابا وبعد ما انتهى وأتم دراسته القرآنية وأتقن قرأته التجوندية ألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية العربية والإنجليزية بقرية أيفوحي (EFUE) وغادر القرية بعد ما تم إغلاق تلك المدرسة إلى مدينة إلورن والتحق بمدرسة البركات الابتدائية الحكومية إلورن سنة 1966م، ولم يزل حينئذ يحضر الحلقات العلمية المسائية عند الشيخ تهامي أوفا مقدم الطريقة التجانية خريج المعهد الأزهري إلورن للدراسة اللغة العربية والإسلامية، ثم انقطع الأستاذ الثقافي مواصلة تعلمه بعد نيله الشهادة الابتدائية والإسلامية أربع سنوات، ثم واصل دراسته بمدرسة الزمرة الأدبية الكمالية إلورن سنة 1972م من حيث حصل على الشهادة الإعدادية سنة 1976م لرغبته الشديدة في نيل العلوم والمعارف، ولم يكتف بهذه المجهودات الجليلة بل أنه جلس للإمتحانات المختلفة أمثال امتحانات الثانوية العامة (المستوى العالي)[3].

وفي السنة 1984م نال الدكتور عبد السلام الثقافي رسالة القبول في جامعة صكتو وتخرج فيها سنة 1988م ونال الشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها بدرجة الإمتياز كما حصل على الشهادة الماجستير 1991م في جامعة إلورن والدكتوراه سنة 1999م في الأدب العربي في الجامعة نفسها.[4]

ثالثا: شيوخه وتلاميذه:

قديما قالوا "من دخل في العلم خرج وحده" وهذا يعتبر أن من لم يكن له شيخ لا يفلح، وعلى هذا كان للأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي شيوخ كثيرون منهم: الشيخ عبد الله بابا والشيخ عبد

الرحمن أجيكوبي والشيخ تهامي أوفا والشيخ يعقوب على أغن وبعض العرب من الأزهر الشريف والشيخ أمين الله الأدبي والشيخ الفاضل الدكتور محمد كمال الدين حبيب الله الأدبي رحمه الله.

ومن أساتذته في جامعة عثمان بن دفوديو صكتو والجامعة إلورن: البروفيسور آدم السودان والدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا والدكتور حبيب الهوساوي والبروفيسور زكريا حسين والبروفيسور عبد الرزاق أديرمي والمرحوم الدكتور حامد إبراهيم أولاغنجوا رحمه الله تعالى.[5]

وكما كان له شيوخ كثيرون هكذا كان له تلاميذ كثيرون في نيجيريا وخارجها منهم العلماء وأئمة الجوامع والدكاترة والبرافسة والمحامون والمهندسون والمحامون والمهندسيون وجنود بأنواعها والحكّام منهم. الشيخ المقدم ألاغو Alagbo عبد الملك يحي من أصدقاء البروفيسور عثمان عبد السلام الثقافي. والحاج سعد الدين عبد الروؤف أيسن روغنجو، والمفسر الأكبر لحارة أبيمي الشيخ أحمد ماغجي، والشيخ جمال الدين يحي أغودي والشيخ عبد اللطيف حنبلي ميكبر وغيرهما وعدد كبير من المدائن والقرى أمثال: بابا دودو Baba Dudu، ماكيبي Monkebe، كندو Kondo، أيفوحي Efue، دنفارى إيجو Dongari Iju، أيسكيني Eseki، أروغي Aroge، أجون Ajuwon، أدينمالي Adenimole واختار معلمين لشئون تلاميذه في هذه القرى. وكذلك تعلم منهم كثير من الأدبيين.

والمركزيين وتلاميذ ونبذة من الصالحين وزمرة السعداء وغيرهم يفيدون إليه لتعليم أنواع العلوم كالمنطق والبلاغة والنحو والصرف والعروض وبعض الكتب كأمثال مقامات الحريري ومقامات الحمدني ونيل الأماني ونيل المراديا ومقصورات ابن دزيدى وأطباق الذهب وأطواق الذهب وغيرها من كتب اللغة.[6]

ومن الذين تعلم منه في مرحلة الدكتوراه: الدكتور بند أبوبكر والدكتور حسنة فومنلايو أبوبكر والدكتور عبد السلام باباتندي حنبلي والدكتور حسين محمد البشير موسى والدكتور صالح مصطفى صالح. ومن الذين تعلم منه في مرحلة الماجستير الدكتور عبد الرحمن عبد الرحيم أولنريوجو والسيد عبد الروؤف عبد الرحمن عيسى[7] والسيد عبد الله كاتبي والدكتور عبد العزيز عبد اللطيف أديكيليكن والدكتور عبد السلام باباتندي حنبلي والدكتور عبد الله سعيد والسيد عبد الله الغالي والدكتور مرتضى يوسف القراوي والدكتور عبد الله إدأين والدكتور سعيد أحمد كاتبي والسيد مسعود محمد الهادي والأستاذ محيي الدين حنبلي عبد الروؤف وأديبايو قاسم عبد الكريم وعبد المؤمن إمام والشيخ عبد المؤمن حنيفي أيارا والدكتور إبراهيم

يوسف حنفي أيارا وكثير ممن لم يذكر.[8] ومن الذين يتعلم منه في مرحلة الليسانس الدكتور إبراهيم ليرى والدكتور علي أوكوتا والدكتور إسحاق أيوب بابأوبي والسيد عبد الروؤف عيسى والدكتور موسى عبد الله الفلاني[9] والسيد شرف الدين أكبي والدكتور عمر محمد الأول والدكتور قاسم إبراهيم الأديوي وعبد الفتاح صلاح الدين والسيد مرتضى الإمام.[10] وكل هذه بالنسبة إلى كون الدكتور محاضرا في جامعة إلورن، وله مثل ذلك في كلية التربية ولاية كوارا منذ عام 1990م وفي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمسو (Miso) ولاية بوتشي (Bauchi State) في أثناء الخدمة الوطنية بين 1987-1988م ثم بكلية اللغة العربية جيبا لحكومة ولاية كوارا من عام 1989م إلى 1998م[11] أمثال السيد أحمد حسين بودفوا وسلمان سليمان طن برنو والدكتور سعيد أحمد زغلول الإمام وهاجر عبد الباقي وميمونة يوسف والسيد مبارك أمين والدكتور عبد الحميد يوسف.[12]

رابعا: أزواجه وأولاده:

للعلامة الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي أربع زوجات هن: هاجرة تزوج بها 1970م وكذلك هاجرة تزوج بها 1983م وآمنة تزوج بها 1992م والحاجة رحمة الله إبراهيم تزوج بها 2004م رزق الله المرحوم من آمنة بأحمد ومن الحاجة رحمة الله إبراهيم عبد السلام وسليمان وحسن وحسين، ولم تبق أولئك الزوجات إلى وفاته إلا الحاجة رحمة الله إبراهيم.[13]

خامسا: مزاولته مهنة التدريس:

بدأ الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي مزاولة مهنة التدريس واشتغل بها بعد تخرجه من جامعة صكتو في كلية القانون والدراسة الإسلامية ميسو ولاية بوش حيث خدمه الوطن فيها لمدة سنة كاملة وذلك في سنة 1988م، ثم وظيف مدرسا بكلية الحكومة جبا من سنة 1989م إلى 1998م ثم بعد ذلك وظف محاضرا في جامعة إلورن سنة 1999م. وعمل المرحوم في الجامعة بكل جد وإخلاص، وترأس مناصب أكاديمية وإدارية متنوعة، منها: منصب مرشد الطلبة في شتى المستويات، ورئيس قسم اللغة العربية، ومنسق الدراسات العليا بالقسم، ومندوب القسم بمعهد التربية بالجامعة. هذا بالإضافة إلى التدريس والإشراف على الكثير من بحوث الليسانس والماجستير والدكتوراه.[14]

انتقل العلامة المرحوم الثقافي إلى الرفيق الأعلى بعد أداء فريضة صلاة الصبح مع جماعته في مسجده تاركا وراءه زوجين وخمسة أولاد.[15]

سادسا: حركاته في نشر الثقافة العربية والإسلامية وتأسيس المدرسة والمسجد الجامع

للعلامة المرحوم الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي دور عظيم –في نشاطاته الإسلامية العامة– لا يستهان به ولا سيما في تطور اللغة العربية والدارسات الإسلامية حيث قام بتأسيس مدرسة معهد الثقافة الأدبية الكمالية في حارة غا أريمو في إلورن سنة 1976م، ولهذا المعهد أربع مراحل:

الأولى: المدرسة القرآنية.

الثانية: المدرسة النسائية.

الثالثة: المرحلة الابتدائية.

الرابعة: المرحلة الإعدادية.

وكذلك أسس المدرسة الابتدائية للحضانة الخاصة سنة 2001م لتنوير أذهان الناشئين بالحضارات الإسلامية والثقافة العربية.

وكذلك أسس المرحوم المسجد الجامع في حارة أديتا غا–أريمو في مارس سنة 2000م لنشر الدراسات الإسلامية والثقافة العربية والدعوة إلى سبيل الرشاد. وتزادد جماعته كل يوم لما يستفيد الناس منه من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

سابعا: مؤلفاته:

كان المرحوم العلامة الشيخ الإمام عثمان عبد السلام الثقافي مؤلفا في كثير من العلوم ومن كتبه المشهورة: سراج العابد في المواعظ الجميلة ومدح الشيخ الجليل وتنبيه الأمة الإسلامية في مدينة إلورن وسائر الحوزات النيجيرية، وخلاصة التاريخ الإسلامي للمدارس الثانوية، والأضواء على دلالات الزيادات في الأوزان الصرفية ومنهج الإنشاء، وتاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، وله كتب أخرى مطبوعة وغير مطبوعة وديوان الشعر مخطوط، وكذلك مقالات وأبحاث علمية منشورة في المجلات الأكاديمية المحكمة في شتى أنحاء العالم، وكان من أعظم الشعراء في تاريخ إمارة إلورن.[16]

ثامنا: شاعريته:

للعلامة البروفيسور عثمان عبد السلام محمد الثقافي كثير من الشعر في أغراض مختلفة.

ومن أشعاره شعره بعنوان تنبيه الأمة إلى المشاكل العامة، بلغ الشعر 44 بيتا بدأ الشاعر الشعر بأن يسلم على الأمير المسلمين ثم أسدى سلامه إلى أئمة المسلمين وأمراء جيش المسلمين ثم سلم على رسول الله الوالي واستمر بتحيته لشيوخ العلم والدين والتقى وإخوان في الدين وذلك بعد عيد الفطر في ذلك العام، عام 1992م ثم نصح الأمير أن يقتدى بالشيخ عالم وعبد السلام في أمور الدين لأنهما نشرا الإسلام في أرض يوربا وجاهدا الكفار حتى نتصرا ثم ذكر الشاعر الأمراء بعدهما واجتهادهم في دين الله ويحثه أن يقتدى بهم.

وهاك نبذة من ذلك الشعر:

عليك أمـــير المسلمين أســـلم ** عليك سلام يـــا عليّ المعظـــم
سلام عليكم يـــا أئـــمة دينـــنا ** كـــــذا أمراء الجيش فيـنا أكرم
سلام على الوالـــي المسمى محمدا ** وأذكـــــر أولى الأمر مـــنا وأنظِمُ
أخيّ شيوخ العلم والديـــــن والتقى ** وإخواننا فـــي الدين طـــرّا أُعمِّم
هنيـئا بعيد الفطـــر عيد مـــبارك ** وإن عليـــكم بالسـرور أســـلم
سلام على قـــــوم علي أميرهـــم ** عليكم سلام يـــا عليّ المكـــرّم
أتاك إلـــــه العرش بالمجد والعلى ** فجيشك هـــذا العصر جيش عرمرم
كأنك موسى قـد رجعت على القضا ** على العرش بعد اليأس في الناس تحكم
ألا تقتدي في الدين بالشيخ عالـــم ** وعبد السلام البـــرّ، شيخ غشمشم
هما نشرا الإسلام فـــي أرض يوربا ** هما جاهـــدا الكفّار حتى تهدّمـوا
كـــــذا قام شئت بالجهاد وبعـده ** زبـير غـــزا بلدان كـفـــر ليسلموا
تـــولّى عليّ العـــرش بعد زبـيـرنا ** بـــــه انهزمت كـــفار أوفا وحطموا
ومـــاما أمـــير الأمريـــــن بعصره ** تعالـــــى على السكان حتى تبرّموا
فـــــقام سليمان العظيم بملـــــكه ** فـــها جمه الإفرنـــج حتى تحكموا

فساس بـــلاد الله تحت منارهـــــم ** فقام شعيب بعـــــد ذلك يقـــدم
وقـــــد جاء عبد القادر خير بعده ** فأعطى الأنام الحـــق حتى تبسمـــوا
تأمّـــــر ذو القرنين بعد وفاتـــــه ** وسلطانه فـــي الشرق والغرب أعظم
فأنت أمير المسلميـــــن عليّـــنا ** وكل عليّ فـــــي المعارك ضرغـــم
فجاهـد رجال الشرك والبدعـــة التي ** أتتنا مـــــن الإفرنج كـــي يتسلموا

وفي ذلك الكتاب يقول:

سؤالـــي إلى أذكي الرجال مقدم ** وكلكم أذكـــــي لديّ وأحـكم
أجيبوا رجال المسلمين مسائـلي ** وأنتم بأسرار المسائـــــل أعلم
لماذا تعلمنا ومـــا فضل علمـــنا ** إذا لـــم يفدنا كل مـــا نتعلم
وما لي أرى في بلدة الشيخ عالم ** كنائس لا تحصى ولا تتهـــدّم
أمـــام مصلى العيد أعلى كنيسة ** أُؤخـــــــر عن تقديرها وأُقـــدِّم
كنائس تبنى حيث تبنى مساجـد ** يصبرنا الدستور عنـــــها فنعحم
لماذا نبيع الأرض والأرض أرضنا ** لكل مسيحي يضـــــل ويظلم
يقال، كفورا أو جهـــول يبيعـها ** وكـــم مسلم حبر يبيع ويكـتم
وكم مـــــن غني أو فقير يبيعها ** إذا ما سألـــناه: لماذ؟ يجمجم
لماذا تعلمنا ومـا فضل علمـــنا ** إذا لـــم يفدنا كل مـــا نتعلم[17]

ويقول في تهنئة شيخه الشيخ محمد كمال الدين حبيب الله الأدبي بمناسبة تعيينه المفتى لمدينة إلورن من حيث مدحه وذكر أوصافه التي جعله أن يختار مفتنيا لمدينة إلورن بأنه الفقيه والإمام الحلاحل والأديب المعمم والقطب والداعي وفاز قدحه والهادي العزيز المقوم وإمام شيوخ المسلمين وهاك من ذلك الشعر:

أزف إلـــــى مفتي إلورن تهانـــيا ** وذلـكم المفتي الفقيه المعـــظم
فمن قال: من ذاك الإمام الحلاحل ** ومـــن ذلك الشيخ الأديب المعمم؟
ومن ذلك القطب الذي ذاع ذكـــره ** ومن ذلك انفـــوث النياث المسلم؟
ومـــن ذلك الداعي يقود بـــلاده ** بنظم أمـــــــر المسلمين ويبرم؟

ومن ذلك الشباق قـــد فاز قدحه ** ومن ذلك الهادي العزيـــز المقوم؟
ومـــن ذلك الأستاذ فوق شيوخـــنا ** يدربـــــهم تدريب هاد يعلـــم؟
فقـــل ذلك الشيخ الكمال محمد ** إمـــام شيوخ المسلمين المكـــرم[18]

وكذلك قال شعرا على لسان الولد الذي يواجه والديه يقدر جهدهما في العناية بتربيته حسنة حتى اكتملت رجولته في المجتمع الإنساني:

ولدت طفلا جديـــدا ** لوالـــدي حميـــدا
أحـــيا قويا صحيحا ** بين الأنام مجيـــدا
هذا طعامي لذيـــذا ** وذاك ثوبـــي جديدا
لـوالـــدي ثـــناء ** أن ربيانـــي وليدا
لـــم يرسماني شقيا ** لـــم يدعوانـي عنيدا
بـــل سألا العلماء ** فسميانـــي سعيدا
لم يهملا فـــي صغيرا ** بـــل صيراني رشيدا
وعلمانـي العلـــوم ** ولقنانـــي العقيده
فصرت شابا نجيـــبا ** بيـن الشباب وحيدا
يـــرون جسمي مليحا ** يـــرون عقلي سديدا
أقضي حياتـــي أديبا ** أسود قومـــي مفيدا
جـــزاكما الله عـــني ** مـولاي خيرا رغيـــدا[19]

ثم يقول على لسان الولد الذي لم يعتن بوالده بتربيته ولا بتوجيهه الوجهة الحسنة وهو يهجوه:

لـــم دعيت وليدا ** بيـــن الأنام شديدا
اسم حبيبي كريـــم ** فكيف اسمي وقيـدا
يـــا والـدي لماذا ** سميتماني حديـــدا
أدعى هزيـــرا وذئـــبا ** فصرت شابا طريـــدا
سمعت أن لـم تفـقا ** عـــني بديـــن وليدا

ولـــــم تبا لا بعلمي ** فازداد غيـــي مزيــدا
أفسد تمانـــي صنيرا ** فضل عقلي بعيـــدا
ذاك حبيبي أديـــبا ** ولا أزال بـــليـــــدا
يسود قومي قريـــني ** وكنت فيهم قعيـــدا
تبلى علي ثيابـــــي ** وكنت شخصا جليدا
يـــا والدي عـــلام ** ولد تمانـــــي وليدا[20]

ويقول يعتز بمعهده مفتخرا به:

معهدي طاب عصره ** فـــي بلادي وذكره
شمس علم مـــناره **كعـبـــة الله زيــه
وإلـــهي إلـــــهه ** ونـبـيـــــي نبيه
وكـــتاب قرأنـــــه ** والأحاديث نهجـــه
إن أتانـــي ملحـد ** أو ممار جاد لتـــه
بمعاني ثقافـــــتي ** أو كتاب أخـــــطه
إن تحاجي بمشكـل ** فـــــي كلام خللته
أو دليل أقامـــــــه ** فقياسي يـــــــذله
إن تـــــمادى بفيـه ** بعد ما قـــــد غلبته
أو تأبّـــى مكابـــرا ** فبيانـــــــي يبـذه
إن تجـــلّى مستكبرا ** فـــي ضلال أقـــره
أو تصـــــدى بسيفه ** فبليـــــــــني أرده
من أتاني سائـــــلا ** عن طريـــق سلكته
فـي علومي وحكمتي ** أو شـــــعار حملته
أو مسائـــــل ملـة ** أو طريـــــق أحبه
أو زمـــــان وأهـله ** أو مـــكان يفـــره

أو حبيب يـــــذلــه ** أو خصيم يعـــــــزه
فـــــــي أنـــاة أفيده ** بجـــــواب أسلـــه
معهـــدي خير معهد ** دار نـــــــور مقـــره
إن تغل من مديـــــره ** فـــــي بلادي يؤمه
فالثقافـــي مديـــــره ** خادم الديـــــن قطبه
حـفـــــــظ الله سره ** وســـناه ودهـــــــره[21]

ومرثيته لشيخه الدكتور محمد الكمال الدين الأدبي أدخله الله جنة الفردوس نزلا بلغت القصيدة 27 بيتا منها:

ألا ذهب المجـــدّد والمنمّي ** وشيخ المرشديـــــن الناجحينا
فـــماذا تفعلين أيا بـــــلادي ** على فقـــدان شيخ العالمـــينا
إمام العصر في الدين الحنيف ** كبير الشأن شيخ الواعظيـــنا
وداع لا يـــناظـــره دعـــــاة ** إذا نطقـــــوا أمام السامعيـــنا
زعيم المصلحين ذوي المعالي ** بحكمته يقـــــود الآمريـــنا
أديب سيد الأدباء حـــــــقا ** ومفت قائـــــــد الفقهاء فينا
إمـــام الأتقياء بـــــلا جدال ** ورأس العابـديـــــن الصابريـنا
فـــــذاك كمالـــــــنا الأنام ** إمـــــــام الأولـــياء النابهينا
ألا ذهب المـــؤدّب والمربّي ** مربـــــي العالمين العامـــليـنا
لقد ربـــــــى تلاميذه برفـــق ** وصيّرهـــــــم عمالق قائديـنا[22]

ويقول في ديوانه سراج العابد في المواعظ الجميلة ومدح الشيخ الفضيلة، وبلغت القصيدة 181 بيتا فمطلعها:

أخيّ انتبه فـــورا لقول المؤدب ** فأمهر بـــــــه مرشد ومهـــذّب
تعلم كتاب الله لفظا وغايـــــة ** فأرشد بـــه الأشخاص قبل تقلّب
تبعّد وجـــه المرء ما لـم يكن له ** مدير وإن يرشد إلى الصوب يقرب

وعلمك زين إن عملت بذاتــه ** فطوبـــــى لزول بالرشاد مطبّب
فتقواك حفظ للحدود المعيــنة ** لنيل جـــــزاء من حرير ومنصب
وإسلامنا خير ولا دين بعـــده ** وأفضل بديـــن للأباطيل مذهب
حبالة كل الخير شرقا ومغــربا ** سبيل متى يسلك ينل كل مطلب
ضـــــياء مفيد يستنا بفضــله ** فـــزالت ليال من ظلوم ومكتب
وإياك والشيطان إن فــاز بالفتى ** يدره إلـــى مرعى وخيم مخيّب

إلى أن قال:

وألا يهمَّ العابدين شواغـــل ** فنعطب مشغولـــيــن أقبح معطب
وألا نقيل البيع ما الله عاقــد ** فنعقد كالمجنون بيع المعـــرقب
ليأت إلينا بالمـنى مثلما أتى ** لمـــــوسى وعيسى والنبي المغلّب[23]

وكذلك قصيدة مدح بها جماعة أنصار الإسلام ونوّه بحركاتها المختلفة في نيجيريا وخارجها بمناسبة حفلة تكريم البروفيسور زكريا إدريس حسين والدكاترة الأدبيين الجدد سنة 1998م وهي في اثنين وعشرين بيتا هذه هي نص القصيدة:

بشـــرى لكم بالفـــــوز يا أنصار ** هـــــذي مزارعكم لـــــها أثـمار
فـــــي كل عـام تنجبون عباقـــرا ** منهم عمالـــق في الهــدى أغوار
ولكم أساتـــذة الكراسي ظاهـــرا ** ولـــكم دكاتر فـــــي العلوم بحار
ولكم مدارس فـــي المدائن والقرى ** ولكم أساتذة الهـــدى الأبـــرار
ولكم مجالس للمواعظ والهـــدى ** ولـــــكم دعاة ماهـــــرون خيار
وإمـــــامكم ذاك الزعيم كمالـــنا ** شيخ الشيوخ خطيبـــنا المـــدرار
ولكم فروع فـــي المناطـق كلــها ** وبنهجكم نهـــج الرشاد تـــــدار
يـــــا معشر الأنصار إن سلوككم ** للمــرشديـــــن لأسـوة وقـــرار
وطريـــــقكم نهـج الشريعة والعلى ** وديـــــــاركم للمسلمـين مـنار
وفريـــــقكم لا شك خير جماعـة ** فكأنـــــكم بعلومـــكم أمـطار

أنتم بـــناه المجـد فـــــي أقطارنا ** أنتم هـــــــداة مرشدون كـــبار
أنتم مفاتيح الهدايـــــــــة للورى ** أنتم لديـــــن محمـد أنـــوار
أنتم ملاجـــئ اليتيم ومـــــن أتى ** مستضعفا فـــــي أرضـنا وستار
لكم الحقـــوق على البلاد جميعها ** ولـــــها عليكم ذمـــــة وذمـار
فلـم التناوم عـــــن سياسة أرضـــنا ** إن البـــلاد تديـــــــرها الأشـرار
لـــكم المشارق والمغارب كلـــها ** فلـــم التقاعد أيـــــها الأنصار؟
أيـــن السلاح أمامكم أعـــــداؤكم ** ومـــــنافسون مسلحـــون ضرار؟
فتوجهوا نحـو السياسة بالهـــــدى ** ليقود أمـــــــر بلادنا الأحـــرار
أنـي لنا المستشفيات بقومـــــكم ** ومصانـــــــع ومتاجـــر ومزار؟
ينـــتاب معهـــدكم ليقصد منهـــل ** أصفى مـــــن العسل الذي يشتار
نرجو لكم ولقومـــــــكم وشبابكم ** حسن المغبـة أيـــــها الأخيار[24]

تاسعا: مناصبة المختلفة:

عيّن العلامة الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي المنسق للتعليم العالي لقسم اللغة العربية (Post Graduate Coordinator for Arabic Language) سنة 2001م وكذلك سنة 2015م و2012م، ثم رئيس قسم اللغة العربية لمعهد التربية جامعة إلورن (Arabic Coordinator for Arabic Language in the Institute of Education) وكذلك عين سكرتيرا لمجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية قسم الأديان (Secretary for Arabic and Religious Journal University Ilorin)[25] وكل هذه تدل على مهاراته الصقيلة.

عاشرا: وفاته:

انتقل العلامة المرحوم الأستاذ الدكتور عثمان إلى جوار ربه تعالى بعد أداء فريضة صلاة الصبح إماما في يوم الخميس في مسجده بتاريخ 2019/2/7م.[26]

أحدى عشر: بعض ما قيل عنه بعد وفاته:

قال الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف أديكليكن الملوي:

قف برهة لتعيد ذكـــــــري المرشد ** من كان بين الناس أحسن مـورد
زر داره لتـــنال فيحة مـــــا جرى ** مـــــن علم ترجع بخير تـــزوّد
وإذا عجزت عـــــن الزيارة صاحبي ** يغنيك ما أبـــــــــقاه عند باليد
عثمان من فـــي العلم كعبة طالب ** مقهي المعارف مرجـــــــع للوارد
ذكراك تبقى فـــــي العقول معلمي ** حتى تقابلـنا بأخـــــــــر مشهد
كن في حمى الرحمان خير مدرّب ** أنا لا أزال عـــــلى مسيرك سيدي
أعطيك غيضا مـــن معينك مرشدي ** والغيض لا يكفي لـوصفك مرشدي(27)

وقال الدكتور عبد الغني أديبايو ألبي (ألوممات): علمت يوم وفاته أن الأمة الإسلامية فقدت علما من أعلامها وعبقريا من عباقرها حين بدأت القصائد والمقالات فالخواطر تنفجر من أقلام المثقفين في مجموعة "أسلن" كلها تشهد له بعلو كعبه في العلم إشادة وتأبينا مما وهبه الله من زينة الأدب والتواضع، فهناك زدت قلبي به تعلقا وتمنيت لو عاد ساعة فأروي صداي يتعريض ما فاتني.

حقيقة أنه كلما أعيد قراءة هذه المنشورات يأسر لبي تلك النعوت الكريمة التي تحلى بها المرحوم لا سيما سمو أدبه ودماثة خُلقه، إذ لا فضل للعلم ولا فيمة لصاحبه إن لم يتوّج بتاج الأدب، لا غرو في ذلك فهو صاحب البيت الشعري الجوهري الخالد، بيت يستحق الكتابة على باب كل طالب وعلم لمكانته في التربية الحسنة.

لماذا تعلمنا وما فضل علمنا ** إذا لم يفدنا كل ما نتعلم

وقال الدكتور عبد الغني أبمولا عبد السلام: الحمد لله أنني أصبحت مستقر البال والجسم منذ أمس وكما أشكر إخواننا من كل ربوع العالم لتعزيتهم لشيخنا الأستاذ الدكتور الذي لبى نداء ربنا وخاصة الذين كتبوا رثاءا شعرا نثرا مثل عبد الرشيد والمحلي، وأريد أن أذكر ما لم يعرفه كثير عنه، خاصة موهبته اللغوية ورغبته الشديدة في مجال علم اللغة الحديثة، لأنني من الذين استفادوا منهم حتى في لحظته الأخيرة يوم الاثنين والحاضرون في الاجتماع على ذلك من الشاهدين، وقد وعدني كعادته أن يرشدنا إلى معلومات تساعدني على تقسيم علم البلاغة بمباحثه الثلاثة إلى الدلالة اللغوية والدلالة غير اللغوية على حد تعبيره، وهو أول من أشار لي أن كتيب "المنطق الواضح" ثلاثة أجزاء فيها أسس علم الدلالة وألح على أن أشتريه،

وبين لي بعض مباحث الكتاب حتى فهمت محتواه. وكان المتوفي ممن يُعتمد عليه في ترجمة مصطلحات عربية إلى إنجليزية خاصة المصطلحات البلاغية واللسانيات الحديثة. كل من تدقيق فيما تشابهت بعضها بالبعض. اللهم اغفر له وارحمه واجعل الجنة مثواه بجاه حبيبنا محمد.[28]

وقال الدكتور أبوبكر أحمد عبد الله إدي أين، أستاذنا الدكتور الثقافي معجم لغوي بارع، ومؤرخ أدبي بارز، وزاهد عفيف نزيه، ومن ثروات قوله: "العلم لن يؤخذ سهولة" ولا يمكن الجمع بين اللغتين العربية والإنجليزية في عقل واحد بالهوادة: وكفاه زادا إلى ربه طلبة العلم الذين علمهم، والقلعة العلمية التي خلفها، والنتاجات العلمية التي ألفها، بل بيت الله الذي بناه، رحمه الله رحمة واسعة وجعل الفردوس مثواه.[29]

قال الدكتور إسحاق أيوب ببأوبي: يموت الإنسان ولكن الإنسانية لن تموت فما أصدق هذه المقولة الفلسفية على شخصية فقيد العلم، وأستاذ الإنسانية، ورمز النزاهة!! يعجبني فيك آنك جاوزت بعلمك مغاوز الطالبية، وعافيت مسالك التعاليم، وترقيت من العالمية إلى الربانية لأنك عالم عامل، وكم كان ينقص الكثير علم بلا عمل!!

أشهد أنك عالم لغوي كثير، أعلم أن لغويتك لا تقتصر على قواعدها كما يعتقد البعض، بل تشمل إلى جانب ذلك فقهها، وعلمها على السواء، وأشهد أنك حدّثت لغويتك باللسانيات المعاصرة بمجهوداتك الشخصية شانك في معظم حياتك العلمية.[30]

نعم، كان مركبك في ذلك صبرك صبر أيوب، وتحملك تحمل نبي الله إسماعيل، ومثابرتك دأب العلماء الواصلين الذين استطاعوا بمثابرتهم أن يتوالد بهم العلم وأن يصيفوا من الحبّة قبّه، ومن اللهجة كلمة، ومن الكلمة جملة، ومن الجملة فقرة، ومن الفقرة مبحثا، ومن المبحث فصلا، ومن الفصل بابا، ومن الباب كتابا، بل ومن الظاهرة فكرة، ومن الفكرة كلاما حتى ولا يقع على يد فقيدنا نص كريم إلا وطال به شرحه، وجزل به تأويله في أسلوب رائع، كزرع أخرج شطأه فآزره، فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب أهل الصناعة والبراعة "وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" (سورة فصلت، آية: 35).

يا بروفيسور الثقافي وصاحب القوافي، كم ممن شجعت فوصل، وكم ممن ساعدت فحصل، وكم من صعب اقتحمت فذل، وكم من باغ قاومت فزل، وكم شبهة وضحت فانجلت، وكم من عقدة حللت

فكشفت –رحمك الله يا دكتور الثقافي!!! ورحم معك معاناتك وتضحياتك في سبيل عمارة أرض ربك، وهداية أصحابك بهذه القلعة العلمية العريقة مدرسة وجامعا.

تشهد لك أبيات شعرك أنك من أوائل الشعراء رقة وجزالة، وتشهد لك فقرات خطبك أنك من مصاقع الخطباء هيبة وإصابة، وتشهد لك حلقات محاضراتك أنك من خبراء المعلمين معرفة وخبرة.

كرُمت حيّا وميتا وشتهرت عـلا ** فأنت أستاذ أحياء وأمـوات

من بات بعدك في حال يسرّ به ** فإنما بات بالأحلام مفرور[31]

نعم، يموت الإنسان ولكن الإنسانية لن تموت، ويموت العالم ولكن العالمية لن تموت!!!

وقال الدكتور مصلح القوروي: يا أستاذ الثقافي الزاهد الورع، لقد قال فيك المبدعون وصدقوا، وصوروا حسن خصالك فأصابوا، ولكم أظهرت الإعجاب بما رأيت في طلابك تشجيعا لهم، واعتقدت أن مهمتك تجاههم أمانة منوطة بك، وأديتها في أحسن الوجه توجيها وتدريسا وإشرافا ومعاملة عشت بيتا أمينا لا يعرف قلبك صغينة، ولا يهتدي إلى عنصرية طائفية، فترى الفرق بين فلان وفلان، وعلمتنا الإنسانية بمعناها الواسع، وأدركت أن هذه الحياة ما هي إلا فترة وجيزة فليسرع الإنسان بل فليحسن استغلالها على هذا كله عشت حتى أتاك اليقين، وإنا لفراقك يا أستاذنا لمحزنون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.[32]

وقال الدكتور مرتضى بن عبد السلام الحقيقي: في صبيحة يوم الخميس الموافق 2019/2/7م فوجئت أسرة مجموعة الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا ينعي وفاة علم من أعلام الثقافة العربية في غرب إفريقيا، الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، ففترت حرارة النقاش العلمي الذي تعودته، ولم تجد بدا من نشرات ذات دمعة ساخنة، عبر عدد من القصائد والمقالات والخواطر، فكلها تنطق بصدق عن مكانة المرحوم الثقافي في قلوب طلبة العلم وأساتذته، ناهيك عما تحلى به من دماثة الخلق، دينا وتقوى، علما وأدبا، لينا وجدية، إخلاصا وأمانة، رأفة ولطفا... إنه بحر لا ساحل له، أديب كاتب وشاعر وخطيب، كادت الألسنة تتفق على غزارة علمه، ورحب صدره وصفاء قلبه، بل كان أنموذجا حيا للمروءة والإنسانية، يزداد الأصحاب ولعابه لسلوكه الرباني.[33]

وقال عبد الله جبريل سليمان الفلاني الأدبي:

دفــن الحــياء وصاحب الخيرات ** مـــــات الذي رب الورى أحـــياه

دفـــــن التصبر والتحمل بيـــتا ** وقـــــــد اشترى بحياته أخـــراه
دفـــن التواضع ذو الكرامة شيخنا ** عثمان نـــــور العلم بل معـــناه
قـــد غاب عنا ذو البشاشة والتقى ** قـــــد غاب نجم ربـــــه يهواه
شيخ تـــقي عالـــــم متحقـــق ** جبل عظيم فـــــــي العلا ونـداه
شيخي الثقافـــي لست أنسى ذكره ** بـــــدر التـــمام بعلمه وتـــقاه
ونظمت شعـــــرا رائعا عـنوانـــــه ** إن الكـــــــمال يحبه مـــــولاه
وخدمك شيخك بالولاء كذلك الـ ** ـإخـــلاص دأبك دائـما تقـــواه
عثماننا كيف المغيب عـــن الدنا ** وهلاك عـــــــزك طالـــع بسناه
فارحم إلـــــهي شيخنا عثمانـــنا ** واغفـــــــــر له رباه يـــــا رباه
سلم إلـــــــــــهي للنبي محمد ** والآل والأصحاب يـــــا أله[34]

وقال الدكتور عبد الحميد بدماصي يوسف:

المـــــرء يبني بيته أزمـــــانا ** والموت يهـــــدم فجأة أركـانا
مات الثقافـــــي رائـــد الزهاد ** مـات الأديب تاركا دنـــــيانا
مات الذي أحيا العقول دهـورا ** فغـــــدا الشباب بعلمه فرسانا
عاش الحياة يعلم الأجـــيال ** لغـــة الكتاب وينشر العـرفانا
يأتـــي الزخارف زاهدا فتسامي ** بـيـن الرجال وبـــــووه مكانا
إن التواضـــــع صيته بـوفـــاء ** مـــــا كان إمعة ولا جـــبانا
تمحو بشاشته هموم معانـــي ** عند اللـــقاء، ويشكر الرحمانا
بذل الجهـــود وكابد الأهـــوال ** نحـو المآرب صاهدا شجعانا
أرسى بجهد جامـــــعا جبارا ** يبغي به عفوا كـــــــذا رضوانا
حاز العلـــوم وأحسن الأعمال ** فـــــي السر والعلن مغا إيـمانا
نال العلا بمكارم الأخـــلاق ** فأجبـــه كل الورى إذعـــــانا
إن التعصب عنده مذمـــــوم ** لا يرتضيه لغـــيره عـنـــــوانا[35]

قال أحمد حسن بودوفو سيسي القادري:

يدق القلب موتـك يا ثقافـي ** أتـــاه فجـأة فيـما حـــواه
له فـــي العلم ميدان عريــض ** عجيب الدهـــر قاموس حجاه
محاسنه كتاب جـــم شرحا ** كثير مجلـــد لا منتـــهاه
ولم أر في مساعي الشيخ حقدا ** على أحد ويحظى مـــن دناه
وما مـــن طالب يأتـــي إليه ** ألا والله لـــم يخطأ مـــناه
وتبكي الشعبة العلـيا بـــكاء ** لقسم الضـاد جامعـتي رداه
مضى التأليف فـي شتى الفنون ** ومـــــن لله مسجده بـــناه
مضى وكأن ألف الناس ماتـوا ** كأن فـــي القلب مضجعة ثراه
ولا تنسى كلية "جيب" مسـعا ** ك مـــا قدمت لـي علما أراه
وكم علمتـنا شتى المعانـــي ** بجامعتي يطيب لـــه مـداه
جـــزاه الله صالحة دوامـــا ** على الخيـرات مـا قدمت يداه[36]

قال عبد الواحد جبريل سليمان:

موت "الثقافـــي" للبلاد خسارة ** والمبصريـــــن لنضجه السّيّاق
مـــن ذا يسد مسدّه بين الملا ** فـي حل مشكلة وفي الإشقاق؟
أو من يقوم مقامه لـذوي النهى ** فـي الصبر والتوجيه نحو وفاق؟
طاب "الثقافي" بين أهـل دراية ** سيرا وذكرا فـــي جميع تـلاق[37]

قال مي صلاة أحمد عبد الله:

أأذكر ما استفدت من ثقافـــي ** خلال السطر أم بـين القوافـي
إذا اقتنـــع الورى بفـعال عبد ** تجاوز عـــن خطاياه المعافـي
تعد له المحاسن فـــي البرايا ** كعـد النمل بين حص الفيافي
هـــو المعنى بالرمـــز الجميل ** لكثرة نفعه لـــذوى السخاف
رئيس لا يرى فـــي زي كبر ** وبـين قرانه رجـــل شفافـــي

صـفـــــي لا يغيّره كديـــــر ** كريـــم ليس من بين الجـواف
إمام قـــــــد بـنـي لله بيـــتا ** وذلك جـنـــه بعـد انصـراف[38]

قال صالح محمد الجامع ألاغولو:

مضى الدكتور فالأحـــياء تبكي ** مضى ابـن السلام فنحن حـزن
شنفتقد المـــكارم قبل تحـرى ** على يده له فـــي تلك زيـــن
هو الأخلاق بين الخلق تمشي ** له أيـد لذي الحاجات عـــون
وفـي حق المروءة كان رمـــزا ** هـــــو الإنسان لا يأتيه شـيـن
لقـد نشر العلـــوم بكل صدق ** وخـــــلاص وما فـي ذلك مين[39]

الخاتمة:

لقد عرضنا في الشطور السابقة نبذة عن حياة عثمان عبد السلام محمد الثقافي وأنشاطاته العربية والإسلامية من حيث اجتهاده في نشر دراسات العربية والإسلامية والدعوية والتأليف والتقريض حتى لقب بالثقافي واشتهر به إنتسابا إلى جمعيته، جمعية الثقافي الإسلامية التي أسسها بنفسه وحتى جد في سبيل العلم والأدب والوعظ والإرشاد والتأليف والتقريض ومات على ذلك. وأنفق كل غال ونفس من حياته في سبيل تحصيله. ومن شدة إخلاصه للعلماء، والعلم والدارسين.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل مباركا وهو نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

1- عبد الرحمن حمدة (2014م)، الأساليب الفنية في بعض أشعار عثمان عبد السلام الثقافي وآثار قرآن الكريم فيها، جامعة أيكيتي، ولاية أيكيتي.
2- المرجع نفسه.
3- الاتحاد الدولي للمعاهد الأدبية وجماعة أنصار الإسلام بنيجيريا (2019م الموافق 1440هـ)، وفاة عملاق أكاديمي الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي، يوم الاثنين 11 فبراير 2019م.
4- المرجع نفسه.
5- المرجع نفسه.

6- المرجع نفسه.

7- عبد القادر سعد الدين عيسى ببأوبي (1440هـ/2019م)، الصفحات البيضاء عن حياة الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، الطبعة الأولى.

8- عبد الرحمن حمدة (2014م)، الأساليب الفنية في بعض أشعار عثمان عبد السلام الثقافي وآثار قرآن الكريم فيها، جامعة أيكيتي، ولاية أيكيتي.

9- المرجع نفسه.

10- عبد الرحمن حمدة، المرجع السابق.

11- المرجع نفسه.

12- عبد الرحمن حمدة (2014م)، الأساليب الفنية في بعض أشعار عثمان عبد السلام الثقافي وآثار قرآن الكريم فيها، جامعة أيكيتي، ولاية أيكيتي.

13- المرجع نفسه.

14- عبد الغني أديبايو ألبي (2020م الموافق 1441هـ)، البروفيسور عثمان عبد السلام الثقافي في ذاكرة المثقفين.

15- المرجع نفسه.

16- عبد القادر سعد الدين عيسى ببأوبي، المرجع السابق.

17- عثمان عبد السلام الثقافي (1413هـ الموافق 1993م)، تنبيه الأمة إلى المشاكل العامة، الطبعة الأولى.

18- عثمان عبد السلام محمد الثقافي (1430هـ الموافق 2009م)، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، مدينة مصر، القاهرة.

19- المرجع نفسه.

20- المرجع نفسه.

21- المرجع نفسه.

22- عثمان عبد السلام الثقافي (2005م)، المرحوم شيخ الإسلام الدكتور الشيخ محمد كمال الدين الأدبي.

23- عثمان الثقافي العروجي الإلوري (1982م)، سراج العابد في المواعظ الجميلة ومدح الشيخ الفضيلة، الطبعة الأولى.

24- عبد الرحمن حمدة (2014م)، الأساليب الفنية في بعض أشعار عثمان عبد السلام الثقافي وآثار قرآن الكريم فيها، جامعة أيكيتي، ولاية أيكيتي.

25- عبد القادر سعد الدين عيسى ببأويى (1440هـ/2019م)، الصفحات البيضاء عن حياة الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، الطبعة الأولى.

26- الاتحاد الدولي للمعاهد الأدبية وجماعة أنصار الإسلام بنيجيريا (2019م الموافق 1440هـ)، وفاة عملاق أكاديمي الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي، يوم الاثنين 11 فبراير 2019م.

27- عبد الغني أديبايو ألبي (2020م الموافق 1441هـ)، البروفيسور عثمان عبد السلام الثقافي في ذاكرة المثقفين.

28- المرجع نفسه.

29- المرجع نفسه.

30- المرجع نفسه.

31- المرجع نفسه.

32- المرجع نفسه.

33- الاتحاد الدولي للمعاهد الأدبية وجماعة أنصار الإسلام بنيجيريا (2019م الموافق 1440هـ)، وفاة عملاق أكاديمي الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي، يوم الاثنين 11 فبراير 2019م.

34- عبد الرشيد يوسف أحمد (2008م)، رائية الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي في مدح جماعة أنصار الإسلام دراسة تحليلا، جامعة إلورن، إلورن.

35- عبد الغني أديبايو ألبي (2020م الموافق 1441هـ)، البروفيسور عثمان عبد السلام الثقافي في ذاكرة المثقفين.

36- المرجع السابق.

37- المرجع نفسه.

38- المرجع نفسه.

39- المرجع نفسه.